

الروح وما هيئته

للسيد محمد الحريري

— ٢ —

جاء العلم الحديث مصداقاً لما ذهب اليه الفيلسوف بركلي من أن الكهرباء أو «الالكترون» هو الجزء الذي لا يتجزأ من المادة ، لأن الذرة تتركب من جملة كهارب ، وأن هذا الكهرباء مركب من جملة تموجات أثرية . ولسنا نعرف على التحقيق ما هي طبيعة هذه التموجات ، فالتموجات كما هو ظاهر عبارة عن حركة دائمة . ويسهل إذن تصور الكهرباء على اعتبار أنه حادث أي أنه غير ثابت . ومعنى الحادث هنا هو حصول التموجات والحوادث ، أي أن التموجات تتلاحق فيتراكم بعضها على بعض .

وزيادة في التبيان أقول إن التموجات التي يتركب منها الكهرباء عبارة عن نوع من القوى لا نعلم ماهو ، وما كنهه وطبيعته . ولكننا نعلم أن الكهرباء يمتص الاشعاعات الضوئية ثم يلفظها ، ونعلم أنه يثب من هنا إلى هنا داخل الذرة . وهذه الاشعاعات التي يمتصها الكهرباء هي التموجات التي تحل الموجة منها محل موجة أخرى ، ولا بد من مضي زمن تافه جداً بين حركة التبديل هذه (أي تبديل موجة بموجة) وبين حركة حلولها محلها .

إذن ليس ثمة شيء يسمى المادة ، وإنما هناك حوادث لا تخضع لقوانين معروفة لنا ، تجري وفق إرادة خارجة عنها ، أي أنها مسيرة لا مخيرة ثم هي تجري في الفضاء غير متأثرة بالزمن ، وقد وصف الاستاذ ارنجرتون الكهرباء بأنه شيء مجهول يعمل شيئاً مجهولاً ، إلى أن تقرر أن عنصر الكهرباء - الذي يدرك أثره ، ولا تعلم حقيقته - منفعل لعنصر آخر أدق منه وأقوى ، وهكذا إلى أن يمكن القول بأن جميع المواد متلاشية في قوى بعضها فوق بعض في الدقة والخفاء حتي تصل إلى نقطة يمكن أن يعبر عنها بقوة مجهولة لا تعلم ، وهي في حكم العدم بالنسبة لنا . وهنا يتحقق قول من قال : إن العالم أبدعه الله من العدم إلى الوجود بقدرته غير المتناهية وهو المبدأ المقرر في الشريعة الاسلامية من أول نشأتها . وقد أثبت العلم الحديث مكرها . وهذا الكهرباء جزء من الأثير العام .

الأثير

جاء في كتاب المذهب الروحاني لعبد الله أباحي الذي نقله عن المجامع العلمية الاوربية والأمريكية بعد تجارب علمية لا تقبل الشك عند بعض من لهم خاصية الانطلاق الروحي بقطة أو في حالة الانخفاف أو التنويم المغناطيسي قوله: إن الكون به مادة أثرية غير خاضعة لنواميس المادة وهي أصل عناصر المادة ، ولا تؤثر فيها أقوى رطوبة ولا أشد حرارة ، ومنها تصدر المواد واليها تعود وتتلاشى فيها بعد تفاعلات في جملة أوجه وصفات . وما الكهرباء والمغناطيسية والتشعع والرايوم واتصال التلغراف اللاسلكي إلا نتيجة اتصال بهذا العنصر الأثيري بأى كيفية كانت، كالات وحركات ميكانيكية على نظام خاص تحفظ بواسطتها بطارية كهربائية تحوى قوة دافعة مضبوطة أو محرك كتنفاعل انسان بطريقة مخصوصة أو فجائية ككثرة التأملات والتغذى بأشياء مخصوصة عند الهنود، أو كالرياضة عند الصوفية، أو كالتنويم المغناطيسى وما شابه ذلك. هذا الأثير غير القابل للتلاشى والذي ثبت أنه مالى لجميع الكون له من سرعة السريان والحساسية ما لا يخضع للزمن ويفوق سريان الضوء بما لا يتصوره العقل — ثبت عند علماء الروحانية أن الجسم الروحاني الملازم للروح بعد مفارقتها الجسد ، مكون من هذا الأثير، لأن الجسم الروحاني يبرز بين الجسد والروح، كما أن الأثير يبرز بين المادة وما وراءها ، وأن هذا الجسم الروحاني على شاكلة الجسم المادى درة ذرة ، إذ أن الجسم ما نشأ إلا على منواله وتقديره كمتزل رسم ثم بنى على منوال ما رسم . وهذا الجسم الروحاني هو الذى تنتقل به فى الرؤيا المنامية فى جملة جهات ، وتعمل جملة أعمال دون أن يفقد الجسم حياته ، وما ذلك إلا باتصال هذا الجسم بأصل هذا الأثير العام الذى هو جزء منه وفيه يأخذ حكمه من عدم الخضوع لأحكام الزمان والمكان، إذ أن النائم يرى ويعمل فى الدقائق المعدودة ما لا يعمل فى عالم الحس إلا فى الشهور بل السنين ، وما ذلك إلا لخضوع كل حالة لنا موسها، فسماع الاصوات البعيدة كأنها قريبة ، أو رؤية البعيد قريباً ، أو الانتقال إلى مكان بعيد فى لحظة، ليس هو فى الواقع خوارق عادات لنا موصلة للمادة ، إنما هو توصل بمغناطيسية أو كهربة الجسم بأى حالة اصطناعية أو تعبدية للوصول الى هذا الأثير والاندماج فيه بحالة تسمية روحية، تجعل الانسان يفعل فى أقل الأوقات وأدقها ما لا يعمل فى السنين وهو محبوس فى مادة الجثمانية.

باكتشاف هذا الأثير المالى الكون وبايضاح خاصته من أنه غير خاضع لحكمى الزمان والمكان، وأنه سريع التأثير والمريان — باكتشافه تحل مشكلات كثيرة منها كيفية التخاطب بالتلغراف اللاسلكي ، وهى عبارة عن وضع بطاريتين متقابلتين تحتويتين على كمية من هذا الأثير أو من أثره

ثم إطلاق هذه المحتويات في الفضاء بحالة فنية معلومة لدى أربابها فلا تلبث أن تتصل بهذا الأثير العام ، ومنه إلى البطارية المشابهة في الاحتواء والمাহية ، وبوضع فني مخصوص يحصل التخاطب . وهذا بعينه هو تخاطب الارواح من أمكنة بعيدة إذا انتمق روحان من انسانين على اتجاه خاص في وقت خاص ، وهذا شيء أصبح في حكم التواتر الآن ، بعد أن ذكره كثير من الصوفية وكان عند كثير من الناس في حكم الخرافة ، وما نداء سيدنا عمر بن الخطاب لسارية الجبل يحذره من العدو إلا نوعاً من هذا الاتصال الروحي ، وكان ما بينهما مسيرة أيام بل شهور على الأبل وقتئذ ، وقد سمع نداءه وانجاز لما أراد ، وطبعاً ما ناداه سيدنا عمر إلا بعد ما رأى حرج مركزه وإحاطة العدو به ، وفي هذا الاتصال الروحي الانساني ما يعلو عن الاتصال المادي اللاسلكي ، إذ أن الانسان يرى ويسمع بروحه ما يغنى عن رموز آلة التلغراف اللاسلكي ، بل أكثر من هذا ثبت في الروحانية أن الانسان ينتقل بروحه في جهات بعيدة ، ويعمل أعمالاً عجيبية ، وقد يكون جسم هذه الروح في مكان أمام الناس وهو في أقصى المعمور في مختلف الأعمال . وهؤلاء الناس الذين حازوا هذه الخاصية هم المعبر عنهم بالأبدال في عرف الصوفية والذين كنا نعد حكاياتهم ضرباً من الترهات ، قد ثبت الآن بالعلم الروحاني المؤيد بالبراهين المشاهدة لجمعية علمية لا تقتنع إلا بالبرهان والشهود الحسي . ومن هنا حل مشكلة حياة الشهداء التي تحبط فيها المفسرون .

وفي كل العصور بل وفي عصرنا هذا وفي كل الطبقات من ذلك الذي لم يشاهد أو يسمع على الأقل وفي كل شخص في حالة ما ، في حالة تفاعل روي شاهد شخصاً كان بعيداً عنه في أحد البلاد أنه أمامه ثم لم يلبث أن لا يراه ، وإذا قيد حركة مراه واستعسر عنه بعد ذلك عند مقابله ، لوجده طبق ما رأى ؟ وهذه الحالة تنمو وتثبت عند كبار المتريضين أو أصحاب الانطلاق الروحي الطبيعي منهم . ثبت في الروحانية أكثر من ذلك ، فقد أخبرت بعض الأرواح أن من هذا الأثير وبقوة إرادة الروح فيه يمكن إيجاد أي مادة في الحال ، كالإيجاد زهور وفواكه وأقمشة وغير ذلك ، وإن كانت الأرواح أخبرت أنه لا يقوى على مثل هذا النعل إلا الأرواح النقية الطاهرة بسماع من الله ، ولما سئلت الأرواح عن كيفية هذا الإيجاد قالت : إنه وجد بمجرد تسلط الإرادة المطلوب ، ذكر ذلك العلامة ويليام كروكس غرة علماء انجلترا في كتابه «مباحث الروحانية» فانه عمل هذه التجارب والامتحانات في معمله نفسه بعد أن أخذ كل حيلة وتأكد من صحة ما حصل وعلى يد جمعية علمية . وفي سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٢ اشغلت الصحافة الإيطالية بغرابة الامتحانات التي أقامها العلامة الخطير لامبروزو في جنوا صحبة العلماء موريلي والبري والكاتب تاتلو ، مدير جريدة الجبل التاسع عشر .

وفي القرآن الكريم ما يشير إلى إمكان اجتماع الانسان بأحد الأرواح التي نقلت إلى العالم الآخر حيث قال الله تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » .

أقول إذا ثبت ذلك في الروحية الحديثة ، فهو حقيقة ما ذكر عن غرائب الصوفية والصالحين والذي كان يعده معظم الناس خرافة ، فقد ذكر الامام الشعرائي عند ترجمة الشيخ الفرغلي في الطبقات الكبرى المدفون بأبي تيج أنه طلب منه جوز هندي من الهند - وهم في أبي تيج - لأحد المرضى ، فأحضره في الحال . وقد نظر الحاضرون فعلا شجرة هذا الثمر أمامهم ، وأخذ منها مطلوبه وكان الشيخ الفرغلي من أرباب الانطلاق الروحي أى مأخوذاً من صغره ومجذوباً . وفي قرآنا الكريم ما يؤيد ذلك في قصة السيدة مريم حيث قال الله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » وقد أجمع المفسرون على أنه كان يوجد لديها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ، مما أدهش نفس سيدنا زكريا عليه السلام ، لأنه كان يقتل عليها الحراب ولم يسمح لأحد بالدخول عليها والاختلاط بها .

كذلك ذكر الاستاذ الشعرائي في طبقاته كثيرا من هذه الخوارق: كاتقال إنسان إلى أمكنة بعيدة وإحضار أشخاص أو أشياء من أمكنة بعيدة ، كما ذكر عن السيد البدوي وسيدى إبراهيم الدسوقي وأضرابهما .

وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك في قصة إحضار عرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس في أقل من لمح البصر ، قال تعالى « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » وغاية ما هنالك أن قوة التأثير في هذا الاثير تختلف في القوة والضعف بحسب نقاء الارواح وقوة إمدادها بحسب الفطرة التي فطرها الله عليها ، وقد جاء في الحديث القدسي « عبادي أطعني أجعلك ربانياً تقول للشيء كن فيكون »

وفي هذا المقام يمكننا فهم قول الامام محي الدين ابن العربي في الفتوحات المكية « إنما خرق العادات رجوع إلى أصل العادة » وبمعنى أوضح نفهم أن الاصل في الاقتدار الالهى القدرة على كل شيء ، وللارواح - باعتبار أنها من أمر الله والتي سبقت هذا الاثير في الابداد والرتبة فضلا عن الحياة التامة والعلم بالذات - أن تؤثر في هذا الاثير بما تريد فيكون ما تريد ، وذلك في حدود الطاقة الروحية التي أمدها الله بها ، وهذه هي حالة أهل الجنة في العالم الآخر ، توجد بالتمنى

والارادة . ولا خلق الله الكون الراسب الكثيف من العناصر الخاضعة للمقدار والكمية
ولناموس الطباع، من : حرارة ورطوبة ، وقدر أن يخلق من هذه المادة الكثيفة جسم الانسان
ليكون مطية - لهذه الروح - اقتضت الروح أن تخضع لناموس المادة طالما هي مقيدة بها، فان تخلصت
من هذه الرواسب والاثقال بأى حالة من التى ذكرناها آنفاً ، رجعت الى فطرتها وأمكنها
التسلط بالايجاد لأى شىء . بمجرد الارادة، وهى المسماة « خرق عادة » والواقع أن الروح ما رجعت
إلا لعادة فطرتها التى فطرها الله عليها، وما ثم خرق عادة لمن فقه هذا . ويقرب من هذا النوع
عالم الجن الذى يقرب فى تكوينه من مادة هذا الاثير، لذلك لا تحكم عليه المادة، فهو يتخلل المواد
الكثيفة إلى آخر ما هو مشهور ومعلوم ، وكذلك عالم الملائكة - وهم أرقى من عالم الجن - وكلا هذين
العالمين لا يمكن أن يصلا لعالم الروح المجردة ، ونفس الجسم الروحاني كذلك، لأن الروح
المجردة هى من عالم الأمر الصادر من القوة الالهية .

وعالم الامر هذا هو الوارد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » وهو يعلو عالم
الخلق ، وهو الملك والملوك المشاهد والمعتول، وإن كان المعتول هذا فى عالم الملكوت غير
المنظور قد يكون منظوراً لمن سبح فيه بجسمه الروحاني السابق التعبير عنه . ولا دخول البتة لعالم
الامر إلا بالتخلص من نفس الجسم الروحاني المكون من مادة الاثير العام وأن يكون
الانسان روحاً مجردة فيمكنه أن يتصل بالعالم الذى برز منه وبالحالة التى كان عليها
« ويستلثونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » أى قلته فى
العلم اذا كان نفس الثوب الروحاني للروح مخالف بالمرة للقواعد العلمية التى تعرفها فى المواد . وما
متحصل سائر علومنا إلا بنح تلك المواد بجميع أنواعها . أى أن الله سبحانه وتعالى أحال
علم كنهه الروح على أنها من عالم الامر ، ولا يمكن تقريب فهم عالم الامر إلا بشرح ثلاث عوالم،
طبقة بعد طبقة : عالم الجسمية وهو الكون المنظور ، وعالم الروحانيات ويجمعها الجسم الروحاني
وعالم الملائكة والجن وهم المتصلون بالاثير العام ، وعالم الارواح المجردة وهو أول ما انبثق من
عالم الامر . هذه هى العوالم الرئيسية وإن كان كل عالم منها له اثواب عديدة تخلع للتخلص من
الكثيف الى اللطيف إن حساً وإن معنى وهى المعبر عنها عند الصوفية الاقدمين بالنفوس
السبعة او الحجب والمنازل والمقامات ، إلا أنها مهما تعددت لا تخرج عن هذه العوالم الثلاثة
ملك - ملكوت - أمر . أى خلق وأمر . وستتكم عن ذلك فيما بعد .

محمد الحريرى

بالنيابة العمومية